﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٤٢﴾ [الأعراف: 42]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

إثباعُ عاقِبَةِ المؤمنين بعاقبةِ المُكَذِّبين

لَمَّا أخبرَ اللّهُ تعالى عَن أحوالِ المُكَذِّبينَ بآياتِهِ المُستَكبِرينَ عنها ترهيبًا مِن سُلوكِ مَسلَكِهم؛ أتبعَهُ في هذه الآيةِ بالإخبارِ عَن أحوالِ المُؤمِنينَ ترغيبًا في اقتفاءِ آثارِهم، فقالَ سُبحانَهُ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿نُكَلِّفُ﴾: تَكَلَّفَ الشَّيءَ: تجشَّمَهُ على مشقّة وعُسرٍ، وكلَّفهُ بمعنَى: أَمَره بما يشُقّ عليه[2]، والتَّكليفُ: الأَمرُ بِما يَشُقُّ عليكَ[3].

والتَّكليفُ في قولِ اللّه سُبحانَهُ: ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَآ﴾ بمعنَى مُطلَقِ الطَّلَبِ والأمر؛ أي: لا نَأمُرُهَا إلَّا بما في وُسعِهَا وطاقتِهَا.

2) ﴿وُسۡعَهَآ﴾: الواوُ والسِّينُ والعينُ تدورُ اشتقاقَاتُهَا على ضدِّ الضّيقِ والعُسرِ. يُقال: وَسُعَ الشَّيءُ واتَّسعَ؛ خلافُ ضَاقَ[4]. والوُسع: الطَّاقةُ، ومنه قَولُ اللّه تعالى: ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَآ﴾؛ أي: لَا نُكَلِّفُ نفسًا مِنَ الأعمالِ إلَّا ما تطيقُهُ[5].

3) ﴿خَٰلِدُونَ﴾: الخاءُ واللَّامُ والدَّالُ تدلُّ تَصريفاتُها على الثَّبات

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 7/401.
(2) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (كلف).
(3) الزّبيديّ، تاج العروس: (كلف).
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (وسع).
(5) ابن جرير، جامع البيان: 12/437.

والمُلازَمَة[1]، ومنه الخُلدُ والخلودُ: البَقاء والدَّوام، وهو في الأَصلِ: المُكثُ الطَّويلُ، ولا يلزَمُ منه الدَّوامُ، ولذا يُقَيَّدُ في مواضِعَ بِـ(أبدًا) مِن باب التَّمييز لا التَّأكيد[2].

وخُلُودُ أهلِ الإيمانِ في الجنَّةِ مقطوعٌ به، وذلك مُستَفادٌ مِن أدلَّةٍ أُخرَى كثيرةٍ، منها ما وَرَدَ في القُرآن الكَريم مقيَّدًا خُلُودُهم في الجَنَّة بالتَّأبيد، كقولِه تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلٗا ٥٧﴾ [النّساء: 57].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

جَـزاءُ المؤمنين جَنَّةُ رَبِّ العالَمين

وَالّذينَ صَدّقُوا اللّه ورسولَهُ، وأقرُّوا بِمَا جاءَهُم بِهِ مِن وَحيِ اللّهِ سُبحَانَهُ وتَنزيلِه وشرَائِعِ دِينِه، وانقادُوا لذلِكَ، وعَمِلُوا ما أَمَرَهُمُ اللّهُ تعالى به فأَطَاعُوهُ، وتَجَنَّبُوا ما نَهَاهُم عنه، لا نُكَلِّفُ نفسًا مِنَ الأعمَالِ إِلَّا ما تُطيقُهُ، هَؤُلَاءِ الّذين آمنُوا وعَمِلُوا الصَّالحاتِ هُم أهلُ الجنَّةِ الّذين هُم أَهلُهَا، دُونَ غَيرِهِم مِمَّن كفَرَ باللّهِ، مَاكِثُونَ في الجَنَّةِ، دائمٌ فيها مُكثُهُم، لا يَخرُجُونَ منها، ولا يُسلَبُونَ نَعِيمَهَا[3].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

عِلَّةُ وَصْلِ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بِما قَبْلَهُ:

استِيعابُ أَقسامِ النَّاسِ يَومَ القِيَامَةِ مُؤمنِهم وكافِرِهم

الواوُ في قولِه تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ عاطِفةٌ، ووُصِلَت هذِهِ الجُملةُ بِما قبلَهَا؛ لِمَا بينَهُما مِنَ التَّوسُّطِ بينَ الكَمالَين، وذلِكَ أنَّ الجُملتَين: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا﴾ و﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ خبريَّتَانِ، وبينَهُمَا تناسُبٌ مِن وَجهَين[4]:

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (خلد).

(2) أبو البقاء الكفويّ، الكلّيّات، ص: 434، وابن القيّم، شفاء العليل، ص: 257، وابن عثيمين، شرح العقيدة الواسطيَّة: 1/265.

(3) ابن جرير، جامع البيان: 12/437، ونخبة منَ العلماء، التّفسير الميسّر، ص: 155.

(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8ب/129 - 130.

أحدهما: لفظيٌّ، وهو اتِّفاقُهُما في الاسميَّةِ، وكونُ المسنَدِ إليه في كُلٍّ مِنها الاسمَ الموصول (الّذِينَ) مع تبايُنٍ في الصِّلَةِ.

والآخَرُ: معنويٌّ، وهو الجامعُ بين الجملَتينِ؛ إذ بينَهُما تضادٌّ، وهو جامعٌ وهميٌّ عندَ البلاغيِّينَ.

فعُطِفَ جزاءُ أَهلِ الإيمانِ على جَزاءِ أَهلِ الكُفرِ؛ لاستيعابِ أقسامِ النَّاسِ يومَ القيامَةِ.

نُكتَةُ تَعريفِ المُسنَدِ إليه بالمَوصُوليَّةِ:

الإيمانُ والعَمَلُ الصَّالِحُ سَبَبانِ لِدُخولِ الجَنَّةِ

عُرِّفَ المُسنَدُ إليه بالمَوصُوليَّةِ في قولِهِ تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ لِبَيَانِ العِلِّيَّةِ والسَّببيَّةِ، والإيماءِ إلى وَجهِ بِناءِ الخبَرِ؛ وهو أنَّ استحقاقَهُم الجزاءَ بالجنَّةِ حاصلٌ بسببِ إيمانِهِم وعملِهِمُ الصَّالحاتِ[1].

سَبَبُ إيرادِ الاسْمِ المَوصولِ جَمْعًا:

أَهلُ الإيمانِ أُمَّةٌ قائِمةٌ على الحقِّ، مُؤْتَلِفونَ عليه

في إيرادِ الاسمِ الموصولِ (الّذِينَ) جَمعًا في قولِه ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ إشعارٌ بأنَّهم أُمَّةٌ مُجتَمِعةٌ على الحقِّ والإيمانِ، لا سيَّما أنَّ ذِكرَهم جاءَ في مقابلِ ذكرِ أهلِ النَّارِ، فكانَ التَّقابلُ بين الجَمعينِ مُشعِرًا بذلكَ الاجتِماعِ.

نُكتَةُ الإتيانِ بالصِّلَةِ فِعلًا ماضِيًا:

الحَثُّ على تحقيقِ الإيمانِ ومُوَاصَلَةِ العَمَلِ الصَّالِحِ

جيءَ بالصِّلَةِ ﴿ءَامَنُواْ﴾، ﴿وَعَمِلُواْ﴾ فِعلًا ماضيًا؛ دُونَ إيرادِه فعلًا مُضَارِعًا إشعارًا بأنَّهم مُتحقِّقونَ بالإيمانِ والعَمَلِ الصَّالِحِ، ولإفادةِ ثُبوتِ ذلك ورُسوخِه فيهم، ولبيانِ أنَّ إيمانَهم وأعمالَهم الصَّالحةَ كانتْ سُلوكًا مُتجدِّدًا في الدُّنيا؛ حثًّا لِلمُخَاطَبِين على تَجديدِ إيمانِهِم والاستمرَارِ عليه، وعلى العملِ الصَّالِحِ.

(1) محمّد أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 6/2841.

نُكتَةُ حَذْفِ مُتَعَلَّقِ ﴿ءَامَنُواْ﴾:

الإيمانُ الّذي يَتبادَرُ إلى الأذهانِ هو الإيمانُ بجميعِ أركانِ الإيمانِ

حُذِفَ مُتَعَلَّقُ الإيمانِ في قَولِهِ سُبحانَهُ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، فلم يُذكَر بماذا آمنوا؛ وذلك لنُكتَتَين:

الأولى: لِلعِلمِ بِهِ؛ فإنَّ مُتعلَّقَ الإيمانِ كان مَعرُوفًا عندَ المُخَاطَبِينَ.

الأُخرى: لقصدِ إفادَةِ العُمومِ، وعدمِ التَّنصيصِ على أحدِ أركانِ الإيمانِ؛ أي: آمَنُوا بِجَميعِ ما يَجِبُ الإيمانُ بِهِ؛ لأنَّ حذفَ المُتعلَّقِ مُؤذِنٌ بالعمُومِ[1].

ولا تعارُضَ بَينَ المَعنَيَينِ؛ لأنَّ الإيمانَ المعهودَ عندَ أَهلِ الإيمانِ هو الإيمانُ بجميعِ ما أَوجَبَ اللّه تعالى عليهم الإيمانَ به.

سِرُّ الإطنابِ بِعَطْفِ الخاصِّ على العامِّ:

شَرَفُ العَمَلِ الصَّالِحِ وعَظِيمُ مَنزِلَتِهِ

عطفُ العملِ الصَّالح على الإيمانِ في قَولِه سُبحانَهُ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ هو مِن بابِ الإطنابِ بعَطفِ الخاصِّ على العامِّ؛ إذ إنَّ حقيقةَ الإيمانِ قولٌ وعملٌ واعتقادٌ، فالعمَلُ داخِلٌ في مُسمَّى الإيمانِ وحقيقتِهِ الشَّرعيَّةِ، والنُّكتَةُ في عطفِ الخاصِّ على العامِّ التَّنبيهُ على شرفِ العملِ الصَّالحِ بذكرِهِ مرَّتين؛ إحدَاهُمَا: مُندَرِجًا تحتَ لَفظِ الإيمانِ، والأُخرَى: مُنفرِدًا، والتَّحذيرُ منَ الظَّنِّ بأنَّ الإيمانَ كافٍ دونَ عملِ الصَّالحاتِ.

نُكتَةُ الإيجازِ بحذْفِ مَوصُوفِ ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾:

الاقتِصادُ في اللَّفظِ اكتِفاءً بالقَرِينَةِ

في قَولِ اللّهِ تعالى: ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ إيجازٌ بالحَذفِ؛ إذ إنَّ ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ صِفةٌ لموصوفٍ محذوفٍ، والتَّقدير: وعَمِلُوا الأعمالَ الصَّالحاتِ[2]، والقَرِينَةُ على تَعيينِ المَحذوفِ هو الفعلُ ﴿وَعَمِلُواْ﴾، فاكتُفِيَ بالقَرِينَةِ عنِ التَّصريحِ بالمَوصوفِ؛ اقتِصَادًا في اللَّفظِ

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/228، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8ب/130.
(2) الآلوسّي، روح المعاني: 4/359.

وإيجازًا في التَّركيب، ونُكتةُ ذلكَ تنزيلُ الصِّفةِ منزلَةَ المَوصوفِ؛ لتتَّجه الأذهانُ صَوبَ الصَّالحاتِ، باعتبارِها صالحاتٍ، وهذا أشدُّ أثرًا وأرسخُ في الإقبالِ.

معنَى اللَّامِ في ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾:

العَمَلُ الصَّالِحُ هو الجامِعُ لِلإخلاصِ والمتابَعَةِ

اللَّامُ في ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ من قولِه تعالى: ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ يُرَادُ بها العَهدُ العلميُّ؛ وذلك أَنَّ العملَ الصَّالحَ معروفَةٌ حقيقَتُهُ في الشَّرعِ، وأنَّه الجامعُ لأمرَين:

أحدهما: الإخلاصُ للّه تعالى.

والآخَر: المتابعَةُ لرَسول الله ﷺ.

أو أن تَكونَ اللَّامُ للاستغرَاقِ العُرفي، وفي هذا ضَربٌ مِنَ المبالغَةِ في وصفِ أهلِ الإيمانِ، حتَّى كأنَّهم ما تركُوا عملًا صالحًا إلَّا ولهم فيه نصيبٌ بالفعلِ، أو بالنِّيَّةِ، كما جاءَ من حديثِ أبي هُرَيرَةَ رضي الله عنه، قالَ: قَالَ رَسولُ اللّهِ ﷺ: «مَن ماتَ ولَم يَغزُ، ولَم يُحَدِّثْ بِهِ نَفسَهُ، ماتَ على شُعبَةٍ مِن نِفاقٍ»[1].

والمعنيانِ صحيحانِ، وحملُها على الاستغراقِ أعظمُ أثرًا، إذ فيها إشعارٌ بضرورةِ أنْ يُحدِّثَ المُؤمنُ نفسَه بالأعمالِ الصَّالحاتِ، مُستغرِقًا لجميعِ أنواعِها، سواءٌ أقامَ بها أم لا، كما جاء من حديثِ أَنَسٍ رضي الله عنه: أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان في غزاةٍ، فقال: «إنَّ أَقوَامًا بالمَدِينَةِ خَلْفَنَا، ما سَلَكْنَا شِعْبًا ولا واديًا إلَّا وهُم مَعَنا فيه، حَبَسَهُمُ العُذرُ»[2].

دَلَالَةُ جَمْعِ ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾:

أَعمالُ الخَيرِ في الإسلامِ كَثِيرَةٌ أفرادُها، ومُتَنَوِّعَةٌ مَجالاتُها

جُمِعَتْ ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ من قَولِه تعالى: ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ للإيماءِ إلى الإتيانِ بها بأنواعِها دُون الاكتفاء ببَعضِها؛ إذْ إنَّ أركانَ

(1) صحيح مسلم: كتاب: الإمارة، الحديث رقم: (1910): 3/1517.

(2) البخاري، الجامع الصحيح: كتاب: الجهاد والسّير، الحديث رقم: (2839): 4/26.

الإسلام وأعمالَ الخيرِ مترابطةٌ، آخِذٌ بعضُها بحُجَزِ بعضٍ، كما قال اللهُ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ﴾ [البقرة: 208].

بَراعةُ الإطنابِ بالاعتِراضِ:

الجَنَّةُ مَعَ عَظيمِ مَنزِلَتِهَا يُوصَلُ إِلَيهَا باليَسِيرِ غيرِ العَسيرِ

قولُ اللهِ تعالى: ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَآ﴾ جملةٌ اعتراضيَّةٌ بينَ قَولِه: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، وقولِه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ﴾، ووجهُ الاعتراضِ: أنَّ ذِكرَ الأعمالِ الصَّالحات لمَّا كان مظنَّةً لتوهُّم أنَّ عملَ جميعِ الصَّالحاتِ - لكونِه جمعًا محلًّى باللَّام - شرطٌ في دخول الجنَّةِ؛ اعتُرِضَ بقَولِه تعالى: ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَآ﴾ لثَلاثِ نِكَاتٍ:

الأُولى: التَّخفيفُ على العبَادِ، وأنَّ اللهَ تعالى لَم يَأمُرْهُم باستيعابِ الأعمالِ الصَّالحاتِ فِعلًا لها.

وثانيها: التَّرغيبُ في تحصيلِ ما لا يُوصَفُ مِنَ النَّعيمِ العظيمِ الدَّائمِ بما هو في الوُسعِ والطَّاقةِ مِنَ العملِ[1].

وثالثها: التَّنبيهُ على أنَّ الجنَّةَ - مع عِظَمِ محلِّها - يُوصَلُ إليها بالعمَلِ اليسيرِ المُستطاعِ مِن غيرِ تَحَمُّلِ المَشاقِّ[2].

تَعريفُ المُسنَدِ إليه بالإشارَةِ:

الإيمانُ والعَمَلُ الصَّالِحُ سَبَبانِ لِبُلوغِ المَرَاتِبِ العَالِيةِ

الإشارَةُ بـ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ في قَول اللهِ تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ﴾ إلى المَذكورينَ قَبلُ باعتبارِ أوصافِهم؛ مِنَ الإيمانِ والعملِ الصَّالحِ؛ للإشعارِ بأنَّ تلكَ الصِّفاتِ هي سببُ بُلوغِهم هذه المراتبَ العاليَةَ والجزاءَ الجليلَ.

وفي التَّعبيرِ باسمِ الإشارَةِ إيماءٌ إلى أنَّهم متميِّزُونَ بصُحبَةِ الجنَّةِ أكملَ تمييزٍ وأَبيَنَهُ، وهذا أبلغُ في مدحِهم والثَّناءِ عليهم.

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 7/401.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 14/242.

وزادَ دِلالةَ المَدحِ والثَّناءِ ما في اسمِ الإشارةِ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ من مَعنَى البُعدِ المفيدِ بُعدَ منزلتِهم في الخَيرِ، وعلُوَّ رُتبتِهم في الصَّلاحِ[1].

غَرَضُ القَصْرِ في الآيةِ:

التَّعريضُ بالمُشركين وتَيئيسُهم مِن دُخولِ الجَنَّةِ

في قولِ اللهِ سبحانَهُ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ﴾ أسلوبُ قصرٍ، وهو مِن قَصرِ الصِّفةِ على المَوصوفِ، وطَريقُهُ: تعريفُ جُزأَيِ الإسنادِ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ و﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ﴾، ففيهِ قصرُ صُحبَةِ الجنَّةِ على أولئك المَذكورينَ؛ لأنَّ المقصورَ بتعريفِ طَرَفَي الإسنادِ هو المُعرَّفُ باللَّامِ، سواءٌ أكان مُقدَّمًا أَم مُؤخَّرًا، و﴿أَصۡحَٰبُ﴾ هَهُنا مُضافٌ لِمَا فيهِ اللَّامُ فهو بمنزلَتِهِ.

وهذا القصرُ حقيقيٌّ تحقيقيٌّ؛ وذلك أنَّ دخولَ الجنَّةِ مقصورٌ حقيقةً على مَن آمَنَ وعَمِلَ صالحًا، لا يَشرَكُهُم فِيها غيرُهُم، فإنَّ اللهَ تعالى حرَّمَ الجنَّةَ على الكافِرينَ، ففي جُملَةِ القصرِ تعريضٌ بالمشركين؛ أي: أولئكَ المُؤمِنون هم أصحابُ الجنَّةِ، لا غيرُهم، وَتَيئِيسٌ آخَرُ لِلمُشركينَ مِن دخولِ الجنَّةِ بعد تَيئِيسِهم في قَولِهِ قَبلُ: ﴿وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ﴾[2].

عِلَّةُ فَصْلِ ﴿هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾:

العلاقةُ بينَ الخُلودِ في الجنَّة وصُحبتِها ما بينَ البيانِ والتَّوكيدِ بحسَبِ التَّقديرِ

فُصِلَ قولُ اللهِ تعالى: ﴿هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ عَن قولِهِ سُبحانَهُ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ﴾؛ لأنَّ بينَهما كمالَ الاتِّصالِ؛ فإنَّ الجُملَةَ الثَّانيةَ ﴿هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ نُزِّلت مَنزِلَةَ البَيانِ مِنَ الأُولَى؛ وذَلِكَ لأنَّ وصفَهُم بالصُّحبَةِ للجنَّةِ لا يقتضِي بحسبِ الوَضعِ اللُّغويِّ الخلودَ والدَّوامَ، وإنْ كانَ العُرفُ الشَّرعيُّ يَقتَضِيهِ، فَصُرِّحَ في الجُملَةِ بعدَهُ بأنَّ هذِهِ الصُّحبَةَ تقتضِي الخُلودَ والدَّوامَ.

أو أن تكونَ الثَّانيةُ تأكيدٌ للأُولى، بحملِ الصُّحبةِ على الدَّوامِ

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/228، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 7/401.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8ب/130.

الأبديِّ المأخوذِ من عمومِ النُّصوصِ الشَّرعيَّة، ومنَ السِّياقِ نفسِه، وهي كذلك من صورِ كمالِ الاتِّصالِ.

بَراعةُ الاحتِراسِ في الآيةِ:

قَولُ اللهِ تعالى: ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ واردٌ على جِهَةِ الاحتِراسِ؛ وذلكَ لِدَفعِ تَوَهُّمِ انقِطاعِ النَّعيمِ المذكورِ قبلُ؛ وسبَبُ هذا التَّوهُّمِ: ما جَرَتْ بِهِ العادَةُ مِن انقطاعِ اللَّذَّاتِ في الدُّنيا، وذلك يُنغِّصُ اللَّذَّةَ عِندَ المُنعَمِ عليه، فبيَّن سُبحانَهُ أنَّ نعيمَ الجنَّةِ لا يَزُولُ، وأنَّه مُباينٌ لنعيمِ الدُّنيا، وهذا هو تمامُ السَّعادةِ، فإنَّهُم مَعَ هذا النَّعيمِ في مَقامٍ أمينٍ مِنَ المَوتِ والانقِطاعِ، فلا آخِرَ لهُ ولا انقِضاءَ، بل في نَعيمٍ سَرمَدِيٍّ أَبَدِيٍّ على الدَّوامِ، واللهُ المسؤولُ أَن يَحشُرَنَا في زُمرَتِهِم، إنَّه جَوادٌ كَريمٌ، برٌّ رحيمٌ[1].

تَرَقُّبُ انقِطاعِ اللَّذَّةِ عِندَ المُنعَمِ عليه يُنَغِّصُ عليه تلك اللَّذَّةَ

نُكتَةُ تَقديمِ الجَارِّ والمَجرورِ:

قُدِّمَ الجارُّ والمَجرورُ ﴿فِيهَا﴾، فلم يَرِد النَّظمُ القُرآنيُّ: (هُم خَالِدُونَ فِيهَا)؛ وذلك لِنُكتَتَينِ:

إحدَاهُمَا: إفادَةُ التَّخصيصِ؛ فخلُودُهم في الجنَّةِ لا غيرَ، وذلك أَدخَلُ في مَدحِهِم والثَّناءِ عليهم.

وليس مَعنَى التَّخصيصِ هَهُنَا أَنْ لا خُلودَ إلَّا في الجنَّةِ؛ فإنَّ هذا مَعَ كَونِه مُخالِفًا للشَّرعِ - إذْ ثبَتَ الخُلودُ لِلكَفَرَةِ في النَّارِ - لا يُسعِفُهُ نظمُ الآيةِ الكريمةِ.

مَدحُ أَهلِ الجَنَّةِ والثَّناءُ عليهم بِبَيانِ خُلودِهِم فيها

والأخرى: مراعاةُ توافقِ الفواصلِ[2]؛ فإنَّ الآيةَ قَبلَها خُتِمت بقول اللهِ سُبحانَهُ: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، والآيةَ بعدَها خُتِمت بقولِ اللهِ ﷻ: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾، وهذا التَّوافقُ تابعٌ للمعنى، وما أعظمَ هذا النَّظمِ الّذي لَقَحتْ معانيه ألفاظَه! فجاءَ على أبدعِ مثالٍ سَمِعَته أُذُنُ بشريٍّ.

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 1/206.
(2) الآلوسّي، روح المعاني: 4/359.

تَوجِيهُ المُتشابِهِ اللَّفظِيِّ:

دِقَّـــةُ الـبَـيـانِ القُرآنيِّ في اختيارِ الأَلفاظِ المُناسِبَةِ لِسِياقاتِها

قال اللهُ سُبحانَهُ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾، وقال في مَوضِعٍ آخَرَ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ [الأحقاف: 14]، ووجهُ التَّغايُرِ بينَهُما: أنَّ آيةَ الأعرافِ سُبِقَت بقوله ﷻ: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٞ وَمِن فَوۡقِهِمۡ غَوَاشٖۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، فلمَّا خصَّ هؤلاءِ بما هم فيه منَ العذاب؛ ناسبَهُ تخصيصُ المؤمنينَ العامِلينَ الصَّالحاتِ بما هم فيه مِنَ النَّعيم، فقال سُبحانه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

بخلاف آية الأحْقافِ؛ فإنَّه تقدَّمها قولُه سُبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ١٣﴾ [الأحقاف: 13]، فلمَّا تقدَّم تخصيصُهم بالبُشرَى، وهي ملازِمَةٌ للجنَّة بقوله: ﴿وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُحۡسِنِينَ ١٢﴾ [الأحقاف: 12]؛ ناسبَهُ بيان حالهم فيهَا بقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث عشر، سورة الأعراف من الآية 14 إلى الآية 87
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة الأعراف من الآية 14 إلى الآية 87 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 13 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-09-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 13 : سورة الأعراف من الآية 14 إلى الآية 87.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-09-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6551762 بتاريخ 2023/12/20م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»